

العزم.. جوهر الإنسانية



«العزم: (إنَّ العزم هو جوهر الإنسانية، ومعيار ميزة الإنسان، وإن اختلاف درجات الإنسان باختلاف درجات عزمه).

لقد بيَّن القرآن الكريم مدى قرب الله تعالى من الإنسان بما يلي:

1- (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ...) (البقرة / 186).

2- (.. وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَيْلِ الْوَارِثِ) (ق / 16).

3- (.. أَنَّنَا اللَّهُ لَا يَخُولُ بَيْنَ أَلْمَرَّةِ وَقَلْبِهِ...) (الأنفال / 24).

إنَّ عزَّ وجلَّ أقرب إلى الإنسان من نفسه، ويحب الإنسان أكثر ممَّا يحب الإنسان نفسه ويرأف بالإنسان أكثر من رأفة الإنسان بنفسه.

والإنسان قريب أيضاً من الله عزَّ وجلَّ.

إذ بيَّن الله سبحانه تعالى: (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ) (الحديد / 4).

ولكن الإنسان يغفل عن الله تبارك وتعالى لأنه يبتعد عنه، وذلك أنَّ الإنسان جُبِلَ على الغفلة، واليقظة تُمثل له حالة الصحو وبداية مشوار الحركة والسلوك الفضيل.

فالإنسان يغفل عن جليسه الذي يجلس معه في الغرفة فلا يراه ولا يحس به ولا يسمعه إذا أبحر في عالم

تصوري آخر. وهذا برغم كون الجليس بمقربة منه فأزمة الإنسان السلوكية تكون في الغالب ناشئة عن الغفلة، وإلا فإنَّ القرب وموجود وتنتظرنا آخرته وجزاءه ولكننا نغفل عن كل ذلك.

ولذلك قيل: "الموت هو رجوع الإنسان إلى نفسه" وهو "انقطاع الإنسان عن غير الله".

والمراد بهذا الكلام بيان أنَّ الموت يوقظ الإنسان من غفلته. (.. فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ - فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ) (ق/ 22).

وأساس حركة الفرد للتيقظ واستحصال القرب من الله سبحانه وتعالى هو ذكر الله.

علاقة الذكر بالقرب:

1- (فَإِذْ كُنتُمْ فِي أَرْضٍ أَدْعُوكُمْ لِمَ تَدْعُونَ) (البقرة/ 152)، أي كلما أكثر الإنسان من ذكر الله كان الله أقرب منه.

2- (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا) (الأحزاب/ 41)، وهنا نلاحظ أنَّ الله سبحانه وتعالى لم يحدد مقياس لكم الذكر وهذا يبين أنَّ الذكر كله خير، والذاكر لله لديه جهوزية مقارعة الهوى والشيطان أكثر من غيره.

3- قال الله تعالى: (فَإِذْ ذَا قُضِيََتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْهُ فَضْلًا - وَاللَّهُ وَادُّكُمْ وَاللَّهُ كَثِيرٌ أَعْلَى كُمْ تَوَلَّيْكُمْ) (الجمعة/ 10)، وهنا بيان علاقة الفلاح والسداد في تأدية المهام بكثرة ذكر الله.

اليقظة قبل العزم:

الإنسان بطبيعته غافل، ولا بدَّ له من اليقظة من نوم الغفلة، ليبدأ حركته الجوانحية والجوارحية للكمال المطلق، ليبدأ المسير إلى عالم الفضائل هاجراً وراء طهره عالم الرذائل، ليسافر إلى وطن القرب تاركاً وطن البعد.

والمؤمن لا يحتاج الكثير من العناية لبلوغ عالم الفضائل واستيطان وطن القرب ذلك لكون الله سبحانه وتعالى قريب منه جداً، بل هو أقرب إليه من نفسه.

ولكن الشرط في ذلك كله يكمن في حركة الإنسان إلى الله بعد اليقظة.

1- قال الإمام السجّاد (ع) في دعاء أبي حمزة الثمالي: "وأنَّ الراحل إليك قريب المسافة".

2- ويبيِّن الله تعالى في الكتاب أنَّه عزَّ وجلَّ: (.. مَعَكُمْ أَوْ لَكُمْ) (يُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَكْنُثُ مِنْهُ نَخْلًا...) (سورة النحل).

غير أننا كبشر غافلون عن ربنا القريب وهو سعيُّنا للإلتفات إلى الله في عطاياه وكرمه ورحمته وتسديده ورأفته وقدرته وقوته وعزته ورعايته لكننا أكثر قرباً منه.

3- حديث قدسي: "أنا جليس من ذكرني".

4- ورد في مفاتيح الجنان في أعمال يوم 27 رجب "وإنك لا تحتجب عن خلقك إلا أن تحجبهم الأعمال دونك".

فالبشر ينصرفون إلى الدنيا وملذاتها وينسون الله ويرتكبون المعاصي والذنوب فيحجبون عن الله بسبب سلوكياتهم وأفعالهم المنكرة، ولكن الله غفور رحيم، قد يغفر الذنوب كلها في لحظة، ولذا ينبغي للإنسان العاصي أن يعزم فور يقضته على ترك السلوكيات المذمومة والسعي لتخليه النفس من رذائل الأخلاق وتحليلتها بالفضائل الوجدانية الباعثة على السلوك الحسن.►

المصدر: كتاب التحفيز الإيماني